العلاقات الفرنسية-الليبية: خلفية تاريخية ورؤية مستقبلية

الاستاذ المساعد الدكتور

مفيد كاصد الزيدي[1]

Email:mufeed2003@hotmail.com

الملخص

تميزت العلاقات الفرنسية–الليبية بحالة من عدم الاستقرار وعرفت الكثير من الأزمات وصلت إلى المواجهات العسكرية والحرب التي دارت على ارض دولة تشاد في ثمانينيات القرن العشرين،ثم حصل نوع من التطبيع في هذه العلاقات بعد عام ٢٠٠٣ مع التحسن في العلاقات الليبية–الغربية عامة والتي انعكست على تطورها مع فرنسا خاصة.ولكنها شهدت موقفا فرنسيا متشددا من حكم الزعيم معمر القذافي بعد اندلاع الثورة الليبية في ١٧شباط٢٠١١ وصلت إلى حد التدخل العسكري الفرنسي إلى جانب حلف الناتو من اجل الإطاحة بالنظام، والذي تم بالفعل في تشرين الأول ٢٠١١ وبدء مرحلة جديدة من التعاون والتحالف بين ليبيا وفرنسا،نسعى إلى تبيان الرؤى المستقبلية له في هذا البحث.

مقدمة.

لقد تميزت العلاقات الفرنسية– الليبية بالتذبذب ارتفاعا وهبوطا،وعرفت الكثير من الأزمات وصلت في بعض الأحيان إلى مرحلة المواجهة العسكرية المباشرة في حرب تشاد في ثمانينيات القرن العشرين .ثم حصل تطبيع في علاقات البلدين في السنوات الأولى من الألفية الثالثة ،لكنها سرعان ما كانت تصاب بالانتكاسة وتعود من جديد إلى المواجهة السياسية والإعلامية.

تعد ليبيا دولة ذات أهمية جيوستراتيجية في إطلالتها على البحر المتوسط ومساحتها الكبيرة ومواردها الطبيعية من النفط والغاز الطبيعي والزراعة،والتي تجعل منها محط أنظار القوى الكبرى

[1] مركز الدراسات الدولية–جامعة بغداد.

والرغبة بإقامة علاقات متميزة معها في الصعد كافة.ومن جانب اخر فان فرنسا دولة لها اهميتها السياسية والتاريخية والاقتصادية كواحدة من القوى الكبرى في العالم،ولها ارث تاريخي وكولونيالي في منطقة شمال أفريقيا،وترغب في إعادة أمجادها من جديد بان يكون لها نفوذ ومصالح إستراتيجية في ليبيا وتسعى جاهدة إلى إقامة شراكة معها في ظل النظام الجديد بعد قيام الثورة الليبية التي اندلعت في ١٧ شباط ٢٠١١.

ونطرح في البحث هذا فرضية التقارب الفرنسي- الليبي في أواخر عهد القذافي والفوائد التي أرادت باريس أن تجنيها من ذلك،وهل فشلت خطوات الرئيس نيكولاي ساركوزي (٢٠٠٧-٢٠١٢)في ذلك التقارب،والأهداف التي حلم في تحقيقها في قيادة العمل السياسي والعسكري للإطاحة بالقذافي ونظامه،وهل العلاقات بين البلدين تسير نحو الأفضل وتتحسن في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

تم تقسيم البحث على عدة محاور تتناول الخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن ليبيا في عهد القذافي،ثم خلفية عن السياسة الفرنسية تجاه المنطقة العربية، والمحددات الداخلية والخارجية في العلاقات الفرنسية-الليبية،ثم تتطور العلاقات الفرنسية-الليبية للمدة بين ١٩٦٩-٢٠١١،وقيام الثورة الليبية في ١٧شباط٢٠١١ وأسبابها الداخلية والخارجية ونتائجها،والدور الفرنسي في دعم الثورة وقادتها الجدد وآفاق العلاقات الفرنسية-الليبية في ظل الظروف التي تعاني منها ليبيا اليوم .

اولا- ليبيا :البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

تمثل ليبيا دولة ذات أهمية إستراتيجية في أفريقيا، فهي جغرافيا وجيوبوليتيكيا فهي تطل على الساحل الجنوبي من البحر المتوسط ،ويحدها من الشرق مصر،ومن الجنوب الشرقي السودان،ومن الجنوب تشاد والنيجر،ومن الغرب الجزائر،ومن الشمال الغربي تونس.وتبلغ مساحة ليبيا ٨٠٠و١ مليون كم٢،وهي الرابعة على الصعيد الأفريقي من ناحية المساحة والسابعة عشر على الصعيد العالمي،ولها ساحل على البحر المتوسط يفصلها عن القارة الأوربية طوله حوالي ١٩٥٥و١ كم وهو الساحل الأطول بين جميع الدول المطلة على هذا البحر.

من الناحية الاقتصادية، يبلغ عدد سكان ليبيا حسب احصاءات عام ٢٠١٠ حوالي ٩٦٠و٥٩٧و٦ مليون نسمة ،وحسب دليل التنمية البشرية لعام ٢٠١١ فان تسلسل ليبيا في

التنمية ٦٤ عالميا و٦ عربيا ،ويبلغ الناتج المحلي الاجمالي عام ٢٠١١ حوالي ٠١٠و٩٢ مليار دولار، ونصيب الفرد من الدخل القومي الاجمالي٦٣٧و١٢ الف دولار سنويا،ومتوسط العمر في ليبيا هو ٨و٧٤ سنة،وهي تحتل مستوى التنمية العربية(العالية) بين المستويات الأربعة وهي (العالية جدا،العالية،المتوسطة،الضعيفة).وتمتلك ليبيا ثروات طبيعية كبيرة في مقدمتها النفط حيث تنتج ٥و١ مليون برميل يوميا، وفي الغاز الطبيعي لها احتياطي يبلغ ٤٠ مليار متر مكعب.(١)

وبرى رونالد جون في رؤيته التحليلية للاقتصاد الليبي مابعد عام ١٩٦٩ دور النفط والغاز الطبيعي بعدهما اساس الدخل القومي الليبي وأنهما خضعا لسياسة الأقلية في ليبيا وليس لصالح الشعب على الرغم من الثروات الكبيرة التي تمتعت بها خزينة الدولة الليبية،وان العوائد المالية لم تؤد دورا في حركة القوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لأنها تأثرت بالأزمات الاقتصادية التي عانت منها ليبيا على مدى العقود الأربعة السابقة.وهذا أسس لإشكالية من الصراع في الاقتصاد الليبي بين الايدولوجيا الاشتراكية للنظام والعوائد النفطية الكبيرة،وكيفية تسخيرها للتنمية والنهوض بالمجتمع والدولة في ليبيا.(٢)انظر للتفاصيل عن الانتاج والعوائد الليبية في حقلي النفط والغاز الطبيعي الجداول ادناه

جدول رقم(١)

إنتاج النفط الخام في ليبيا بالألف برميل يوميا(٢٠٠٦-٢٠١٠)

٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
١,٧٥١	١,٦٧٤	١،٧٢٢	١،٤٧٤	١,٤٨٧

المصدر:التقرير الاقتصادي العربي الموحد٢٠١١،صندوق النقد العربي،ابوظبي،٢٠١١،ص٣٣٨.

جدول رقم (٢)

الغاز الطبيعي في ليبيا المسوق(٢٠٠٦-٢٠٠٩)بالمليون متر مكعب

٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩
١٣,١٩٥	١٥,٢٨٠	١٥,٩٠٠	١٥,٩٠٠

المصدر:التقرير العربي الموحد٢٠١١،ص٣٣٩.

جدول رقم (٣)

احتياطي النفط في ليبيا(٢٠٠٦-٢٠١٠)بالمليون برميل

٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
٤١,٤٦	٤٣,٦٦	٤٤,٢٧	٤٦,٤٢	٤٦,٤٢

المصدر:التقرير العربي الموحد٢٠١١،ص٣٣٦.

جدول رقم(٤)

احتياطي الغاز الطبيعي في ليبيا(٢٠٠٦-٢٠١٠)مليار متر مكعب

٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
١,٤٢٠	١,٥٤٠	١,٥٤٠	١,٥٤٩	١,٥٤٩

المصدر:التقرير الاقتصادي العربي٢٠١١،ص٣٣٧

جدول رقم(٥)

مداخيل النفط والغاز الطبيعي في ليبيا(٢٠٠٦-٢٠١٠)مليون دولار

٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
٣٥,٤٧٥	**٣٦,٧٨٣**	**٥٢,٠٨٤**	**٢٩,٤٤٦**	**٣٨,٧٦٤**

المصدر:التقرير الاقتصادي العربي٢٠١١،ص٣٤٤.

من الناحية الاجتماعية، فقد ادى النزوح الكبير للعديد من الاقوام والشعوب الى الاراضي الليبية على مر السنين الى تشكل البنية المجتمعية من السكان الأصليين والأقليات ومعها الجاليات الأجنبية،وعلى الرغم من ذلك حافظت ليبيا على وحدتها الجغرافية التي ضمت ثلاث ولايات او مقاطعات هي طرابلس في الغرب وبرقة في الشرق وفزان في الجنوب،فضلا عن التماسك الديني والمذهبي حيث ان غالبية السكان الليبيين هم من المسلمين على (المذهب المالكي) مع نسبة قليلة من (المذهب الشافعي)،مع وجود مسيحي شهد تراجعا في العقود الأخيرة، إلى جانب اليهود في بعض المدن الليبية بفعل الهجرات المتواصلة من ليبيا منذ أربعينيات القرن العشرين.

والى جانب السكان العرب هناك الاقليات من البربر الامازيغ الذين يسكنون أقصى الغرب الليبي في مدن زواره وجبل نفوسة وغدامس،وهناك العرب البدو والأندلسيون والأتراك والمصريون الذين يتواجدون في المنطقة الشرقية من ليبيا وامتدادهم الى داخل مصر وأبرزهم قبائل (أولاد علي) ويتواجدون في مناطق السلوم ومرسى مطروح وماجاورهما، وهناك المغاربة والتوانسة في الغرب ،والطوارق في الجنوب والسود ويسمون (السودان) وقبائل التبو في مناطق الكفرة وفزان ومرزق وسبها،واليهود في طرابلس ومصراته ودرنة بشكل خاص ،وأيضا تتواجد الجاليات الايطالية والمالطية واليونانية والأفريقية.أما اللغات واللهجات فتنتشر في ليبيا اللغة العربية والامازيغية والاوجلية (في منطقة اوجلة وسوكنة)،والهوساية لدى قبائل الهوسا في منطقة غات قرب النيجر،والتيبا لغة قبائل التبو،ولغة القرعان المستخدمة لدى السكان القادمين من وسط تشاد وهي تنتشر في مناطق جنوب ليبيا .(3)

من الناحية السياسية، فقد عانت ليبيا من الغزو والاستيطان من قبل الدول والأقوام امثال الإغريق والرومان والبربر والفينيقيين والوندال والبيزنطيين إلى حين مجيء الإسلام إلى منطقة شمال أفريقيا وتحديدا إلى ليبيا في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي في أثناء العصر الراشدي، مرورا الى فترة الحكم الفاطمي ثم مجيء قوى قبلية وهي بني هلال وبني سليم، ثم امتداد الدولة الأيوبية من حكم بلاد الشام ومصر لكي تصل إلى ليبيا، ومن ثم الأسبان عام ١٥١٠ دخلوا أجزاء من طرابلس الغرب واستمر حكمهم إلى عام ١٥٣٠ حيث تركوها إلى فرسان مالطا، إلى أن دخلها العثمانيون في عام ١٥٥١ بعد أن استسلم فرسان مالطا في المعارك وسمح لهم بالخروج من طرابلس الغرب إلى مالطا ودخل الوالي سنان باشا في ١٥ آب ١٥٥١ المدينة، واستمروا بحكمهم إلى عام ١٧١١ في فترة حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا،ثم عرفت الفترة من عام ١٧١١ إلى عام ١٨٣٤ بحقبة (العهد العثماني الأول)، ثم تبعتها الفترة بين ١٨٣٤ إلى ١٩١١ وتسمى بحقبة (العهد العثماني الثاني).وقد جاء الاحتلال الايطالي لليبيا في عام ١٩١١، وظهرت الحركة الوطنية بقيادة الزعيم عمر المختار، واستمرت المواجهات بين الطليان والليبيين إلى فترة الحكم البريطاني الذي امتد بين(١٩٤٧-١٩٥١)،وبعدها أعلن في ٢٤ كانون الأول/ديسمبر١٩٥١ نشوء (المملكة الليبية المتحدة)،وكان أخر ملوكها إدريس السنوسي الذي استمر حكمه الى قيام الثورة في الاول

من ايلول/سبتمبر عام ١٩٦٩ ومجيء الضباط الاحرار واعلان الجمهورية الليبية، والتي تحولت بعد سنوات في ٢ اذار/مارس عام ١٩٧٧ إلى الجماهيرية العربية الليبية(٤)،حيث استمر حكم الزعيم الليبي معمر القذافي(١٩٦٩-٢٠١١) أكثر من أربعة عقود حتى قيام ثورة ١٧ شباط/فبراير٢٠١١ والتي وصلت إلى الإطاحة بالنظام الليبي في ٢٣ تشرين الأول/اكتوبر٢٠١١.(٤)

أمـا الأمـن في ليبيـا فهـو المنظومـة الأهـم الـتي عرفـت في عهـد القـذافي، والـتي ربطـت الأمـن المجتمعـي بـالولاء للدولـة مـن اجـل الحفـاظ الاسـتقرار والأمـن في جميـع ربـوع الـبلاد،من أقصـى الغـرب حيـث الحـدود التونسـية- الجزائريـة إلى أقصـى الشـرق حيـث الحـدود المصـرية، ومـن الشـمال حيـث البحـر الأبـيض المتوسـط والحـدود البحريـة مـع أوربـا إلى الجنـوب والحـدود مـع السـودان وتشـاد والنيجر.

في حـين غابـت الدولـة تلـك المؤسسـة المدنيـة الحديثـة ،،فلـم يكـن احـترام للحريـات العامـة وحقـوق الإنسـان و المجتمـع المـدني الحـديث،وبقي التحـول مـن البـداوة الى التحضـر في السـلوك المجتمعـي ضـعيفا علـى الـرغم مـن الريـع النفطـي الهائـل، وربمـا يعـود السـبب في انتهـاج الطريـق الاشـتراكي للثـورة منـذ قيامهـا والتـاثر بالتجـارب الاشـتراكية العربيـة والعالميـة،ثم نقـل التجربـة السـوفيتية السـتالينية، والاعجـاب بتجربـة فيـدل كاسـترو في كوبـا ،وتجربـة الصـين في عهـد ماوتسـي تونـغ جميعهـا تركـت آثارهـا علـى التجربـة الليبيـة الـتي اتبعـت الاشـتراكية الـتي طرحهـا القـذافي في(الكتـاب الأخضـر) أو مأسمـاه(الطريق الثالـث)، وتغيـير تسـمية الدولـة منـذ عـام ١٩٧٧ ليصـبح (الجماهيريـة العربيـة الليبيـة الشـعبية الاشتراكية العظمى) والذي يبدو متأثرا بتسمية الدولة السوفيتية السابقة.(٥)

وكانـت سمـات تلـك الحقبـة اعتمـاد النظـام علـى سياسـة الحيـاد وعـدم الانحيـاز والتقـارب مـع الـدول الآسـيوية والإفريقيـة واللاتينيـة،ودعم حركـات التحـرر في مختلـف دول العـالم ،وتحـريم أقامـة الأحـزاب والجمعيـات الأهليـة،ومنع الصـحافة

مما أضعف حالة المشاركة السياسية والمساهمة الديمقراطية في المجتمع الليبي.ولم يكتب دستور للدولة خلال تلك الحقبة واستعيض عنه بالكتاب الأخضر كدستور للدولة ،وتحول المجتمع الليبي الذي خرج من النظام الملكي (شبه الليبرالي) الى مجتمع منغلق تغيب عنه مظاهر الديمقراطية والتعددية السياسية ،وأصبح المواطن مهتم بالدرجة الأساس في البحث عن لقمة العمل العيش له ولأولاده وأسرته.(٦)

ومن جهة أخرى صرفت الدولة جهودها السياسية وإمكاناتها المالية منذ أواخر تسعينيات القرن العشرين للتحول صوب القارة الأفريقية بهدف إقامة(الاتحاد الأفريقي) أي التحول في سياسة القذافي من العروبة إلى الافرقة،وفسر المراقبون موقف النظام في التحول الليبي نحو الوحدة الإفريقية نتيجة فشل الجهود الليبية لعدة سنوات في إقامة الوحدة العربية،والتغير في الساحة الدولية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي واقامة نظام القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة،وآثار الغزو العراقي للكويت وتبلور نظام عربي جديد ابتعد عن ايدولوجيا الوحدة العربية والفكر القومي العربي.

وبدأت ليبيا خطوات لتحقيق التعاون الأفريقي-الأفريقي للوصول إلى حلم الاتحاد الأفريقي ليكون على غرار الاتحاد الأوربي ،حيث بذلت ليبيا جهودا كبيرة بدفع المساعدات والتبرعات المالية وإقامة الاستثمارات الليبية والمشاريع الاقتصادية والعمرانية .ولكن التجربة الليبية بعد كل الإمكانات والجهود التي بذلت وصلت إلى طريق مسدود عندما سعى الزعيم الليبي لإقامة (الولايات المتحدة الإفريقية) بعد أن رفضت بعض دول القارة مثل المغرب ومصر وجنوب أفريقيا ذلك المشروع،وعدم تأييد الولايات المتحدة للتغلغل الليبي في القارة الأفريقية،ورفض فرنسا لقيام مثل هذا الاتحاد في مناطق نفوذها (التقليدية) .ويمكن رؤية التغيرات التي مرت بها الدولة الليبية خلال العقود الماضية من خلال الجدول رقم(٦) أدناه.

ثانيا:السياسة الفرنسية في المنطقة العربية.

يعود الوجود الفرنسي في المنطقة العربية الى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩،حيث رافقها تطور التجارة الفرنسية البحرية في عهد نابليون بونابرت أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر في هذه المنطقة.ولكن ذلك الوجود تراجع مع التقدم البريطاني في المنطقة على حساب فرنسا في العقد الثالث من القرن التاسع عشر. وخلال حكم والي مصر محمد علي باشا(١٨٠٥-١٨٤٠) سعت بريطانيا إلى تعزيز نفوذها في منطقة الشرق الأوسط،في حين اتجهت فرنسا إلى مراقبة ذلك النفوذ والتوسع في شمال أفريقيا عندما احتلت الجزائر عام١٨٣٠،وتونس عام ١٨٨١ وتبلور التنافس البريطاني—الفرنسي في مجال السيطرة على طرق النقل المواصلات البحرية في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط .ثم تراجع النفوذ الفرنسي في هذه المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى والمرحلة التي تلتها نتيجة عوامل عدة أبرزها تزايد النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط،وظهور التيار القومي العربي ونشوب الثورات العربية ضد الاستعمار الاجنبي،واعلان استقلال عدد من الدول العربية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين (٧).

وفي عهد الرئيس الفرنسي شارل ديغول (١٩٥٨-١٩٦٩) اتبع سياسة ضمن المحور الأوربي الذي رأى فيه إن استقلال فرنسا لن يأتي ألا بوحدة أوربا وتحقيق أمنها، وأدى ذلك إلى بعث مجد فرنسا وإعادة تأثيرها في أوربا والعالم،وعمد إلى إزالة الاستعمار الذي أثقل كاهل فرنسا، وترسيخ التوافق الفرنسي-الألماني في أوربا، وإخراج فرنسا من القيادة العسكرية لحلف الناتو الخاضع للهيمنة الامريكية،وادانة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وعمل على صياغة رؤية مختلفة لاوربا ومايجب ان تكون عليه، وأكد ان أمن أوربا هو من أمن البحر الأبيض المتوسط ، ومن ثم ركزت فرنسا سياستها على امن وسلام منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال حقبة الحرب الباردة، ومحاولة تقريب وجهات نظر القوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي(السابق)،وعدم هيمنة أي منهما على تلك المنطقة الحيوية من العالم. ورأى ديغول أيضا أن الوجود الفرنسي متواضع في المنطقة العربية بسبب اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر١٩٥٦ وحرب الجزائر١٩٥٤،ومن اجل الحفاظ على الوجود الثقافي والتاريخي في المنطقة كان عليه أن ينهي حرب الجزائر ويحسن علاقاته بلاده بالدول العربية ويوقف تأييد بلاده لإسرائيل(٨).

وسار الرؤساء الفرنسيين بعد ديغول على خطى سياساته تجاه قضايا شمال افريقيا والشرق الاوسط لاسيما الرئيس فرانسوا ميتران(١٩٨١-١٩٩٥) الذي أكد إن فرنسا في ظل حكم الاشتراكيين لاتختلف عما كانت عليه في العهد الديغولي.وفي السياق نفسه استمرت سياسة فرنسا في عهد الرئيس جاك شيراك(١٩٩٥-٢٠٠٧) الذي شهدت سنوات حكمه تطورا ملموسا في علاقات بلاده بالدول العربية وخاصة دول شمال أفريقيا ومنها ليبيا.وفي عهد الرئيس نيكولاي ساركوزي عملت الإدارة الفرنسي للحفاظ على الخط الديغولي-الميتراني داخل (حزب الاتحاد من اجل حركة شعبية) الذي تزعمه ساركوزي مع الميل نحو السياسة الغربية والأمريكية التي تحقق مصالح فرنسا العليا.ومع تولي الرئيس الفرنسي الجديد فرانسوا هولاند(٢٠١٢- إلى الآن) في منتصف ايار٢٠١٢ الحكم في فرنسا أكد على استمرار الدولة في سياستها الخارجية في الخطوط العامة لها، واستبعاد حدوث تحولات جذرية لها والتأكيد على المصالح الفرنسية في الخارج وخاصة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط ،مع دعم مايعرف ب(الربيع العربي) والاستعداد للتحاور مع الحركات الجديدة بالمنطقة التي تقبل بالديمقراطية وترفض العنف ولاتتجاوز على الحريات العامة كالأديان والمرأة والصحافة والعمل الحزبي وغيرها.

علما إن السياسة الفرنسية فيها اتجاهين رئيسين، الأول (الديغولي-الميتراني) نسبة إلى الرئيسين ديغول وميتران،والاتجاه الثاني المذهب الأطلسي الغربي. ويعد الأول الأكثر تأثيرا في السياسة الفرنسية ويرى أصحابه أن فرنسا لها دور متميز وفعال تؤديه في عالم الجنوب وهو جزء من مصالحها الوطنية، وان هذا الدور لايتم إلا إذا اتبعت فرنسا سياسة مستقلة في هذه المناطق تجسيدا للمصالح الفرنسية العليا،وتعزيز سياسة التعددية القطبية في العالم.أما الاتجاه الثاني الذي يرى أصحابه أن فرنسا عليها ان تعرف انتمائها إلى الأسرة الدولية ،وان واجبها يتمثل في أن تكون متضامنة معها،وان هناك تهديدات تواجه فرنسا تمس مصالحها الإستراتيجية ولابد من السير في الاتجاه الذي تمضي فيه الزعامة الغربية سواء الأمريكية أو الأوربية. وبهذا تهدف فرنسا في سياستها الأوربية ومن خلال تطلعها الى منطقة شمال افريقيا والشرق الاوسط الى تحقيق مصالحها الاستراتيجية وتعزيز نفوذها، والحصول على الامتيازات النفطية والاستثمارات وعقود اعادة البناء

والاعماروترسيخ الأمن والتنمية الاقتصادية التي تحقق لها مصالحها العليا ،وهي بالتالي تدعم إقامة علاقات وثيقة مع دول المنطقة وفي مقدمتها ليبيا في ظل التجربة الديمقراطية الجديدة.(٩)

ثالثا:المحددات الداخلية والخارجية في العلاقات الفرنسية –الليبية.

شهدت العلاقات بين فرنسا وليبيا موخرا تحول من حالة العداء إلى التحالف والشراكة في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية،وهناك تفاؤل حول مستقبل تلك العلاقات بعد أن توفرت لها مقومات النجاح مثل الوضوح في الرؤية و التعاون والمصالح المشتركة للبلدين،والتوافق في المواقف تجاه القضايا السياسية على الصعيدين الإقليمي والدولي،وأرادتهما في الانتقال إلى مستوى التحالف الاستراتيجي،حيث يشير المشهد العام إن ليبيا تضع علاقاتها مع فرنسا في أطار النهوض بالتجربة الديمقراطية التي تواجه التحديات الداخلية والخارجية وتحتاج وقفة الاصدقاء بخبراتهم وامكاناتهم للمساعدة في بناء الدولة الليبية الجديدة.وفي المقابل تسعى فرنسا إلى أن تحقق لها علاقاتها مع ليبيا عوائد مالية واستثمارات ومبيعات أسلحة ونفوذ أقوى في منطقة إستراتيجية بالنسبة لها.

وهناك محددات داخلية وخارجية للعلاقات الفرنسية– الليبية.ففي المحددات الداخلية من الناحية السياسية والتي تتمثل في دوائر صنع القرار وانعكاسات ذلك على العلاقات بينهما،فليبيا الجديدة التي ظهرت مابعد قيام الثورة الليبية تقوم على نظام يطمح أن يكون ديمقراطي تعددي تشترك فيه الاحزاب والقوى السياسية التي دخلت اللعبة الديمقراطية وآمنت بها،والاحتكام إلى الانتخابات البرلمانية التي أفرزت (المؤتمر الوطني العام المنتخب من الشعب،والذي انتخب رئيس الحكومة ووافق على التشكيلة الوزارية الجديدة،والمسؤولة امام المجلس الوطني من اجل العمل سوية، أي البرلمان والحكومة من اجل تحقيق الأستقرار في العملية السياسية،واشاعة اجواء الديمقراطية بوجود الاحزاب والتعددية السياسية والصحافة الحرةومنظمات المجتمع المدني وحرية وسائل الاعلام والنشر والحريات العامة الأخرى.في حين تقوم وزارة الخارجية كجهة تنفيذية بدوردبلوماسي في بلورة عملية صنع القرار الخارجي بعد عقود طويلة من الحكم الفردي وغياب مظاهر العمل الديمقراطي الحقيقي.

أما فرنسا،فأن النظام السياسي فيها تعددي يقوم على رئيس الجمهورية المنتخب،والجمعية الوطنية المنتخبة شعبيا،وهناك وزارة الخارجية ودوائر صنع القرارحيث التعددية السياسية والحزبية التي تجعل

فرنسا في طليعة دول أوربا والعالم في الممارسة الديمقراطية مستفيدة من موروثها التاريخي وتقاليدها الرصينة.

ومع انتخاب الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند في منتصف عام ٢٠١٢ تتطلع فرنسا الى التعاون مع حليفتها المانيا واعادة ترتيب الأوضاع في أوربا من الناحية السياسية،ومواجهة الأزمة المالية التي تعيشها أوربا،والعمل على حل المشكلات التي تواجهها فرنسا،وسعيها للحفاظ على مكانتها المتميزة في القارة الأوربية(١٠).

من الناحية الاقتصادية،تعد ليبيا دولة مهمة اقتصاديا من حيث الوفرة المالية والعوائد النفطية،وماتمثله من مكانة متميزة للشركات الفرنسية والاستثمارات النفطية،وسوق لشراء الاسلحة والمعدات العسكرية الفرنسية التي يحتاجها الجيش الليبي الجديد من حيث اعادة تنظيمه وتجهيزه على أسس حديثة،وأن النهوض الاقتصادي والمالي الذي تتطلع له الحكومة والشعب الليبي يجعل من المؤكد أن فرنسا وبقية الدول الكبرى تتطلع للتعاون معهما والاستفادة من الفرص التي يوفرها هذا التعاون في المستقبل .

اما فرنسا،وفي ظل التطورات التي شهدتها أوربا وأزمة الديون السيادية التي أنفجرت في أوربا وتفاقمت اثارها حتى وصلت فرنسا مما أضعف مكانتها الاقتصادية إلى حد ما،وتفاقم الأزمات الداخلية فيها على أكثر من صعيد،وضعف معدل نمو الناتج الإجمالي مقارنة بدول أخرى،فأنها تسعى إلى جذب الاستثمارات الاجنبية الى داخل البلاد والسماح لشركاتها للاستثمار في ليبيا،وتطوير التعامل التجاري والمالي معها،والحصول على الطاقة الضرورية من النفط والغاز الطبيعي،وأن تكون شريكا رئيسا لها تجاريا واقتصاديا.

من الناحية الاجتماعية،فان ليبيا بلد ذو نزعة قبلية ومحافظة وتوجد فيه أعداد كبيرة من الشباب الذين شكلوا صلب حركة الثورة الاحتجاجية التي شهدتها المدن الليبية مطلع عام ٢٠١١ مطالبين بالقضاء على البطالة وايجاد فرص العمل وانهاء مشكلة السكن وتوفير فرص الزواج للشباب ومساعدتهم من لدن الدولة،وإعادة الكفاءات العلمية من الخارج والتي هربت خلال النظام السابق وضرورة دمجها في المجتمع والدولة بتوفير الظروف المناسبة لها للعمل والإقامة في وطنها،ومواجهة المشكلة القبلية والصراعات بين القبائل التي تنشا من حين إلى اخر،والنزعة المناطقية التي تكرست

في العهد السابق وظهرت بقوة بعد الثورة وتشكل اليوم تهديدا كبيرا لوحدة ليبيا مع دعوات الفيدرالية وتقسيم البلاد،وتفاقم المشكلات الاثنية والثقافية واللغوية التي تتجسد في ثنايا التعددية المناطقية تلك ومنها الدعوات بالامازيغية وانفصال الشرق التي تطالب بحقوق الاثنيات من اللغة والأحزاب والتعليم الخاص بها والتمثيل البرلماني والحكومي والتي تشكل تحديات تواجهها ليبيا في حاضرها ومستقبلها.

اما فرنسا،فهي بلد فيه جاليات وجنسيات أوربية وآسيوية وأفريقية وشرق أوسطية،ويعاني من ظاهرة الهجرة غير الشرعية،وقضية الحجاب والاندماج،وأزمات داخلية أثرت على المجتمع فيها،وبرزت ظاهرة العنف التي انعكست على النسيج الاجتماعي،وعلى علاقة السلطات الفرنسية مع ملف المهاجرين ثقافيا واجتماعيا مع تأكيد أن قضية الاندماج بمثابة الحل لمشكلة المهاجرين الأجانب في فرنسا الذين يمثلون ديانات مختلفة،ومحاولة تكيف هؤلاء ضمن النموذج الفرنسي،والتي ستبقى مشكلة في كيفية وصول المهاجرين الى درجة الاندماج وخاصة من الجاليات العربية والاسلامية في المجتمع الفرنسي،وتحول البعض منهم في السنوات الأخيرة الى أدوات للتطرف والعنف وشن حملات أمنية لمكافحة تلك الظاهرة (١١).

أما المحددات الخارجية للعلاقات الفرنسية- الليبية.فأن طرابلس بدون شك تتأثر بالبيئة الاقليمية المحيطة بها وتتفاعل معها،لاسيما أن العلاقات الدولية لأية دولة هي محصلة تفاعلاتها مع الدول الأخرى في منظومة النظام العالمي.فتتأثر العلاقات الفرنسية-الليبية بتوجهات القوى الدولية والإقليمية صاحبة النفوذ في شمال افريقيا ،فالولايات المتحدة تعد اللاعب الأساس في العالم ولها مصالح ونفوذ استراتيجي ،وهي لاتخفي عدم رضاها عن كل دور أوربي محتمل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا وتعتقد ان أي بوادر تحرك أوربي قد يشجع الأطراف العربية للتصلب أمام التوجهات الامريكية،وتحاول الأخيرة محاصرة الدور الأوربي لحماية مصالحها وتأكيد نفوذها.وتسعى ليبيا من جانبها إلى إحداث توازن في علاقاتها وهي تشكل آليات للدولة الجديدة الديمقراطية،وإتباعها سياسة مغايرة عن توجهات النظام السابق وتجد أن أوضاعها الداخلية والظروف التي تحيط بها في السودان ومصر في دول الجوار والتازم في السياسة الدولية ورياح الربيع العربي التي تهب على البلاد

العربية تحتم على السياسة الليبية الجديدة التعاون مع القوى الكبرى ومنها فرنسا لتحقيق مصالحها الوطنية في بناء ليبيا الجديدة ومواجهتها للتحديات الراهنة.

فيما يخص المحددات الخارجية لفرنسا،فهي تهتم باستقلالية القرار في السياسة الخارجية،وأن يكون لها دور فاعل ورئيس في أوربا بالتنسيق والتحالف مع ألمانيا ،وأكد الجنرال ديغول في سياسة بلاده على المصالح الوطنية لفرنسا،وسار على خطى هذه السياسة من تبعه من الساسة الفرنسيين بهدف تحقيق المصالح العليا للبلاد،ومحاولة تعزيز سياسة التوازن لفرنسا مع الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا في الساحة الدولية.وقد تحولت هذه السياسة في عهد ساركوزي إلى التنسيق في القضايا الدولية المهمة مع الولايات المتحدة بشأن قضايا في أوربا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وسعى بأن تكون فرنسا حاضرة في الساحة الدولية إلى جانب القوى الكبرى وبشكل خاص الولايات المتحدة ،حيث تسعى فرنسا إلى أن يكون لها نفوذ في هذه المنطقة لحماية مصالحها الاقتصادية والتجارية والعسكرية.أما مع الاتحاد الأوربي فتسعى فرنسا الى التعاون داخل القارة الاوربية ومواجهة الازمة الاقتصادية والمالية التي تعصف بها،وان يصل هذا التعاون إلى البحر الأبيض المتوسط لاسيما مشروع (الاتحاد من اجل المتوسط) الذي سعى أليه ساركوزي في السنوات الأخيرة في ظل إستراتيجية باريس لتحقيق مصالحها الحيوية هناك.

رابعا: العلاقات الفرنسية– الليبية بين(١٩٦٩–٢٠١١).

شهدت العلاقات الفرنسية– الليبية حالة من العداء تارة ومن التقارب والتعاون تارة أخرى خلال العقود الأربعة السابقة من حكم القذافي وصلت في بعض الاحيان الى المواجهة العسكرية بين البلدين في الثمانينيات من القرن الماضي.

وكانت فرنسا اول دولة غربية اعترفت باستقلال ليبيا عام ١٩٥١ في عهد الملك ادريس السنوسي وعدته حليفا لها في منطقة شمال أفريقيا.إلا أنها رفضت الاعتراف بقيام ثورة الضباط الاحرار في الاول من أيلول عام ١٩٦٩ ووقفت في عهد الرئيس جورج بومبيدو(١٩٦٩–١٩٧٤) ضد تغيير النظام الملكي في ليبيا،بينما وافق على بيع ليبيا طائرات مقاتلة ودبابات فرنسية في كانون الاول١٩٦٩ خوفا من أن تتجه ليبيا إلى الاتحاد السوفيتي لشراء هذه

الأسلحة،وســانده في هــذه الاتجــاه وزيــر الخارجيــة ورئــيس الــوزراء ميشــيل جــوبير وأثــارت الصــفقة غضــب إســرائيل وأنصــارها وســعى القــذافي ومنــذ بدايــة الثــورة الى التقــارب مــع فرنســا وتوجــه اليهــا لتوقيــع صــفقة عســكرية لشــراء طــائرات في كــانون الأول عــام ١٩٧٠ وزيارتــه إلى بــاريس ولقائــه الــرئيس الفرنســي جــورج بومبيــدو بعــد أن اســتقال الجنــرال ديغــول في ١٩٦٩/٤/٢٨ مــن رئاســة الجمهوريــة بعــد نتــائج الاســتفتاء العــام علــى سياســته المســتقبلية، وترشــح بومبيــدو للرئاســة وإعــلان فــوزه بالانتخابــات الرئاســية في ١٩٦٩/٦/٢٠،وتم شــراء ١٧٨ طــائرة نــوع مــيراج في اكــبر صــفقة عســكرية عقــدتها فرنســا،حيث قيــل بعــدها إن القــذافي أراد إرســال هــذه الطــائرات الى مصــر في عهــد الــرئيس محمــد انــور الســادات(١٩٧٠-١٩٨١) عنــدما كانــت الحــرب علــى الأبــواب مــع إســرائيل، حيــث قــدمت ليبيــا الطــائرات إلى مصــر لتســتخدمها في حــرب الســادس مــن تشــرين الأول ١٩٧٣.(١٢)

وتحســنت العلاقــات الفرنســية – الليبيــة في عهــد الــرئيس فــاليري جيســكار ديســتان(١٩٧٤-١٩٨١)،وتم ابــرام عقــود واتفاقيــات لشــراء الــنفط الليــبي وتزويــد طــرابلس بالأســلحة والمعــدات العســكرية فضــلا عــن العلاقــات التجاريــة والاقتصــادية.ثم انتكســت العلاقــات في عهــد الــرئيس فرانســوا ميــتران إلى ان تــدهورت في الثمانينيــات مــن القــرن العشــرين مــع نشــوب الحــرب التشــادية والتــدخل الليــبي فيهــا حيــث جــرت معــارك بــين الجــيش الليــبي والقــوات الفرنســية المتواجــدة هنــاك، وجــرى إلغــاء جميــع العقــود الفرنســية مــع الحكومــة الليبيــة بعــد ان اتهمتهــا بــاريس بالتــدخل في الشــؤون التشــادية.ثم عقــد لقــاء بــين القــذافي وميــتران في قــبرص لإنهــاء النــزاع في تشــاد وعــادت المواجهــة العســكرية عــام ١٩٨٧ حيــث دمــرت بــاريس طــائرات عســكرية ليبيــة وقتلــت طياريهــا في تشــاد،وردا علــى ذلــك انفجــرت طــائرة مدنيــة فرنســية تابعــة لشــركة ايربــاص(UTA) يوتــا في ١٩ ايلــول

١٩٨٩ في صحراء النيجر راح ضحيتها ١٧٠ راكبا مدنيا من جنسيات مختلفة واتهمت بتفجيرها السلطات الليبية.(١٣)

وعندما وصل الرئيس جاك شيراك إلى قصر الاليزيه أعاد العلاقات مع ليبيا إلى طبيعتها،وتوقفت المواجهات بين الطرفين.ولكن قاضي فرنسي طالب في آذار عام ١٩٩٩ بإصدار مذكرة اعتقال بحق ستة ليبيين على خلفية اتهامهم بتفجير الطائرة الفرنسية (UTA) ٧٧٢ من بينهم مدير المخابرات وصهر القذافي عبدالله السنوسي وطالب بسجنهم بالسجن المؤبد وتغريم الحكومة الليبية مبلغ ٣١مليون دولار تعويضات لأسر ضحايا الطائرة المنكوبة،ولم توجه المحكمة الفرنسية المسؤولية الشخصية للقذافي على هذا العمل الإرهابي .وبعد سنتين تحركت العلاقات نحو التحسن بين البلدين عندما تم الاتفاق على تسوية هذه القضية حيث رأت الحكومة الفرنسية أهمية المصالح التجارية الفرنسية في ليبيا، ولإيصال رسالة من باريس لدعم الجهود الليبية في الحرب على الإرهاب حينذاك.(١٤)

ومن جهة أخرى ،تم في شباط ٢٠٠٢ افتتاح خط للطيران بين طرابلس وباريس بعد توقف لمدة عشرة سنوات،وفي العام نفسه حصلت شركتين فرنسيتين على امتياز التنقيب والاستكشاف في مجالي النفط والغاز الطبيعي في ليبيا.ويظهر أن الرئيس شيراك أراد تعويض خسارة بلاده للسوق العراقية والاستثمارات والعقود النفطية بعد الإطاحة بالنظام العراقي السابق ابان الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ وذلك من خلال إيجاد أسواق بديلة منها السوق الليبية لاسيما بعد ان وافق الزعيم الليبي مطلع عام ٢٠٠٤ على تعويض ضحايا تفجير الطائرة الفرنسية ،فضلا عن موافقته على دفع مبلغ ٣٥ مليون دولار تعويضات لأسر ضحايا تفجير (ملهى لابيل الليلي) في برلين في عام ١٩٨٦ وقتل فيه جنود فرنسيون، والذي اتهمت به المخابرات الليبية في حينها، والتزمت ليبيا بتحمل مسؤوليتها عن تلك العمليات ودفع التعويضات

مـــن اجـــل تطبيـــع علاقاتهـــا مـــع الـــدول الغربيـــة الولايـــات المتحـــدة وفرنســـا وبريطانيا(١٥).

ولقيــت هــذه الخطــوات ترحيبــا مــن لــدن الحكومــة الفرنســية الــتي أعلنــت إغــلاق هــذه الملفــات بــين البلــدين،وابلغ شــيراك الــزعيم الليــبي بامكانيــة زيارتــه إلى بــاريس دون تردد،وتعهــدت الحكومــة الفرنســية بزيــادة التعــاون التجــاري والاقتصــادي مــع فرنســا،وفي مقابــل تعهــد الحكومــة الليبيــة بــدعم الحــرب علــى الارهــاب الى جانــب الــدول الغربيــة ومنهــا فرنســا.ثم قــام الــرئيس شــيراك بزيــارة رسميــة الى ليبيــا التقــى خلالهــا القــذافي لتاكيــد فــتح صــفحة جديــدة للعلاقــات الفرنســية-الليبيــة وتوثيــق العلاقــات التجاريــة والاقتصــادية والعســكرية بــين البلــدين.ثم بعــد شــهرين زار وزيــر الــدفاع الفرنســي طــرابلس ووقــع اتفاقــا مــع ليبيــا تضــمن التعــاون العســكري والتســليحي بينهمــا،وفي عــام ٢٠٠٥ حصــلت شــركة توتــال الفرنســية للطاقــة علــى عقد جديد للتنقيب عن النفط في حقلين في ليبيا.(١٦)

وقــام وزيــر الماليــة الليــبي الأســبق محمــد علــي الحــويج بزيــارة بــاريس في عــام ٢٠٠٤ لتنقيــة الملــف المــالي ووقــع اتفــاقيتين الاولى خاصــة بــالازدواج الضــريبي والثانيــة بــدفع المتــأخرات الموجبــة علــى ليبيــا والبالغــة ٤٤مليــون دولار قيمــة عقــود تجاريــة ســابقة،في حــين بلغــت الصــادرات الليبيــة الى فرنســا ٢ مليــار دولار والــواردات الليبية منها حوالي نصف مليار دولار في عام ٢٠٠٤.

علمــا بــان اتفاقــا ســريا تم بــين الولايــات المتحــدة وبريطانيــا وفرنســا في كــانون الاول عــام ٢٠٠٣ مــن جهــة وليبيــا مــن جهــة ثانيــة نــص علــى تخلــي طــرابلس عــن برامجهــا لامــتلاك اســلحة الــدمار الشــامل وتفكيــك البرنــامج النــووي والتخلــي عــن الاســلحة الكيمياوية،وتصــديقها في اوائــل عــام ٢٠٠٤ علــى معاهــدة حظــر التجــارة النوويــة واستضــافة مركــز للرصــد والمراقبــة علــى أراضــيها،وفي مقابــل غلــق الــدول الغربيــة ملفــات اتهــام طــرابلس بالارهــاب والافــادة مــن العوائــد النفطيــة والســوق الليبيــة وعــودة الشــركات النفطيــة الغربيــة الى ليبيــا لاســيما وإنهــا بلــد يمتلــك

احتياطي من النفط والغاز الطبيعي، ومساعدة ليبيا في وقف الهجرة غير الشرعية عبر اراضيها وسواحلها البحرية الطويلة نحو أوربا، وعودة العلاقات الدبلوماسية معها.وتم بالفعل رفع الحظر عن ليبيا في اجتماع وزراء خارجية دول الاتحاد الاوربي في بروكسل في ١٣ تشرين الاول ٢٠٠٤ بعد ١٢ عاما من الحظر والعزلة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية التي فرضها الغرب على طرابلس. (١٧)

وسعى الرئيس ساركوزي إلى تطوير علاقات بلاده مع ليبيا حيث قام هو وزوجته السابقة باداء دور هام في تموز ٢٠٠٧ للافراج عن ستة ممرضات بلغاريات اتهمن بتعاطي اطفال في مستشفى بنغازي بالايدز HIV- AIDS وانتقلن الى بلدهن بوساطة فرنسية بعد ان عكرت هذه القضية العلاقات الاوربية-الليبية عدة سنوات.وفي اب عام ٢٠٠٧ تم تحقيق اتفاقية ليبية- فرنسية في المجال العسكري بقيمة ٣٠٠مليون يورو،وفي اواخر السنة نفسها اعلنت باريس عن التصديق على اتفاقيات مع طرابلس بقيمة ٣,٢مليار يورو وموافقة الاخيرة على شراء طائرة ٢١ نوع ايرباص والتوقيع على اتفاقية التعاون في المجال النووي للاغراض السلمية.وقام ساركوزي بزيارة طرابلس عام ٢٠٠٧ وأعلن بقوله "أن القذافي ليس ديكتاتورا وهو اقدم الحكام العرب في المنطقة"،ودعاه لزيارة فرنسا التي استضافته في قصر الاليزيه وسط حفاوة كبيرةوتحولت العلاقات بين البلدين الى التحالف الاستراتيجي والعسكري بعد تم التوقيع على اتفاقية شراكة شاملة في مجالات الصحة والتعليم والهجرة ومكافحة الارهاب و،واتفاقية في مجال تحلية مياه البحر بقيمة ١٠مليار يورو،ومشروع بيع طائرة فرنسية جديدة من نوع رافال وتيجر. (١٨)

من جانب اخر،كانت في اوربا مشاريع للشراكة والتعاون قد طرحت منها مشروع(الشراكة الاورومتوسطية)EMBالذي انطلق في عام ١٩٩٥في اطار التعاون المتعدد الاطراف للعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين ٢٦دولة

اوربية مع دول شمال افريقيا والشرق الاوسط بهدف بلوغ الاستقرار الامني في اطار شراكة تعاونية مع دول غير ليبيرالية ونشر مباديء الاتحاد الاوربي في الجنوب لتعزيز الاستقرار في الشرق الاوسط. ثم هناك(خطة الجوار الاوربي)التي تشير الى مبادرة اطلقها الاتحاد الاوربي في عام ٢٠٠٣ لايجاد ماعرف ب(حلقة اصدقاء للاتحاد)في ظل علاقات سلمية تعاونية وثيقة وتطبيق الاصلاحات السياسية والاقتصادية والمؤسسية،وان تكون دول الجوار متعاونة مع سوق الاتحاد الاوربي مع اشاعة الديمقراطية وتعزيز حرية الاشخاص والبضائع والخدمات وراس المال.الا انه على حيز الواقع لم تتحق لا الشراكة ولا التعاون ولا خطة الجوار فعليا وفشلت في تحقيق اهدافها.(١٩)

ومن هنا سعى الرئيس ساركوزي الى اطلاق مبادرة جديدة في اوربا والشرق الاوسط وشمال افريقيا تحت اسم(الاتحاد من اجل المتوسط)، وأعلن بأنه ضمن مشروعات اقليمية خدمة لأهداف سلطة الاتحاد الأوربي والمساهمة في إبطاء سيرورة توسيع الاتحاد الأوربي نحو تركيا،وخدمة المصالح الفرنسية وعرض القيم الليبرالية والديمقراطية وسيادة القانون وحقوق الانسان والليبرالية والتغيير السلمي على امل ان يفضي الى السلام والاستقرار وربما الى سلطة ونفوذ فعلية مما يوصل الى سيطرة سياسية بطرق سلمية.(٢٠)

لكن القذافي رفض على الفور فكرة قيام(الاتحاد من اجل المتوسط) التي تبناها صديقه ساركوزي،واكد انه يتقاطع مع المشروع الذي تبنته ليبيا وهو(الاتحاد الأفريقي)،وانه يهدد الوحدة العربية ويجسد النزعة الاستعمارية كما وصفه القذافي.وحينما اجتمعت ٤٤ دولة في باريس لمناقشة مشروع الاتحاد الذي دعا اليه ساركوزي،كان القذافي الزعيم الوحيد الذي لم يحضر الاجتماع،وفي خطاب له في تشرين الاول٢٠٠٩ لدى استقباله الأمانة العامة لاتحاد الناشرين العرب في طرابلس جدد القذافي معارضته اقامة الاتحاد من اجل المتوسط،وان

الــدول الــتي حضــرت اجتماعاتــه هــي الــتي وقعــت اتفاقيــات التطبيــع مــع اســرائيل اساسا.(٢١)

ثم جــاءت نقطــة الخــلاف الاخــرى بــين ســاركوزي والقــذافي بشــأن الوجــود العســكري الفرنســي في افريقيــا حيــث أشــار القــذافي انــه لم يفهــم بعــد أســباب الحضــور الفرنســي العســكري في أفريقيــا، ففــي الماضــي كانــت بــين فرنســا وأفريقيــا ثقــة متبادلــة، وقــال "إنــا اعتقــد أن التــدخل الفرنســي في ســاحل العــاج كــان خطــأ واليــوم الثقــة قــد فقــدت"(٢٢).وزاد أيضــا مــن حــدة الخلافــات بــين ليبيــا وفرنســا تبــاطوء الاولى في تنفيــذ الاتفاقيــات والعقــود المبرمــة ســاركوزي عــام ٢٠٠٨،ولم تــدفع ليبيــا ســوى ٢ مليــار دولار مــن اصــل ١٠ مليــار دولار وقعتهــا مــع فرنســا واغضــب ذلــك كثــيرا ســاركوزي نتيجــة تراجــع الــزعيم الليــبي عــن اتفاقاتــه الــتي وقعهــا مع بلاده.

يبــدو أن التقــارب الــذي حصــل بــين ليبيــا وفرنســا والــدول الغربيــة الاخــرى في الســنوات الأخــيرة كــان هدفــه مــن جانــب القــذافي الانفتــاح علــى أوربــا والغــرب عامــة والخــوف الــذي انتــاب القيــادة الليبيــة مــن شــبح التجربــة العراقيــة الــتي انتهــت بالمواجهــة مــع الولايــات المتحــدة واحــتلال العــراق واســقاط النظــام القــائم عــام ٢٠٠٣ ،ممــا دفعــت تلــك العوامــل ليبيــا لتقــديم تنــازلات سياســية وماليــة للــدول الغربيــة.ولكنها كمــا يبــدو كانــت خطــوات تكتيكيــة مرحليــة اراد منهــا القــذافي التطبيــع في علاقاتــه مــع الغــرب واعــادة اندماجــه في المنظومــة الدوليــة وإنهــاء عزلته،وســرعان مــا تراجــع عــن تنفيــذ اتفاقاتــه مــع ســاركوزي الــذي أدى دورا مهمــا في إعــادة ليبيــا الى المجتمــع الــدولي علــى امــل الحصــول علــى مكاســب اقتصــادية ونفطيــة وماليــة وعســكرية مــن التقــارب مــع القذافي،وهــذا أدى بالمحصــلة إلى تغيــير جــذري في مواقــف ســاركوزي مــن القــذافي ودعمــه المباشــر والقــوي للاطاحــة بــه وبنظامــه بعــد قيــام الثــورة الليبيــة في ١٧شــباط عــام ٢٠١١.ويمكــن مراجعــة العلاقات بين ليبيا والدول الغربية في الجدول رقم(٧) أدناه.

جدول رقم (٥)

مراحل تطور علاقات ليبيا مع الدول الغربية

(١٩٦٩-٢٠١٢)

السنوات	طبيعة العلاقات
١٩٦٩-١٩٨٠	الثورة- تحدي الغرب وإسرائيل-دعم حركات التحرر بالعالم
١٩٨٠-١٩٨٦	عزلة ليبيا- مواجهة واشنطن-حرب تشاد والمواجهة مع فرنسا
١٩٨٦-٢٠٠٣	العقوبات والحصار-مواجهة الغرب وفرنسا-قيام الاتحاد الأفريقي
٢٠٠٤-٢٠١١	تطبيع العلاقات مع واشنطن والغرب-التقارب مع فرنسا
٢٠١١-٢٠١٢	الثورة الليبية-سقوط نظام القذافي-التحالف الجديد مع فرنسا

* **الجدول من إعداد الباحث .**

خامسا: ثورة شباط٢٠١١وتغيير النظام الليبي.

تراكمت العديد من الظروف والاسباب على مر العقود الأربعة من حكم نظام القذافي والتي دفعت الأجيال التي عاصرت الثورة والتي تبعتها من الشباب إلى الثورة في ١٧شباط عام ٢٠١١،وكانت العامل الحاسم في انطلاق المجتمع الليبي بكل فئاته وأطيافه للثورة على النظام لتنطلق الشرارة من بنغازي ثاني المدن الليبية وأكبرها في شرق ليبيا،وتتحول إلى مواجهات مع النظام في البيضاء ودرنة واجدابيا وطبرق شرق وتنتقل تدريجيا إلى مدن الغرب حتى تصل إلى طرابلس وأخير سرت لتسقط أعمدة النظام هناك وتنتهي الثورة بعد ثمانية أشهر من المواجهات والمعارك العنيفة بين الثوار وأجهزة النظام مع التدخل الدولي بقيادة فرنسا وحلف الناتو.

في كـل ثـورة هنـاك عوامـل داخليـة وخارجيـة تـدفع باتجـاه الثـورة،وفي الحالـة الليبيـة لعـل المسـببات الداخليـة عملـت علـى بلـورة رؤى التغيـير مـن الـداخل نتيجـة الأوضـاع الـتي مـرت بهـا ليبيـا إذ بـرزت عوامـل التغيـير وهـي الركـود السياسـي والجمـود المجتمعـي ومنـع العمـل السياسـي وغيـاب الأحـزاب وتحريمهـا، وتجـريم إقامتهـا وتأسيسـها،وغياب الحريـات العامـة والجمعيـات والمنتـديات الأهليـة والثقافية،وعـدم النزاهـة المشـوبة بالفسـاد الـتي تراكمـت مـن الطبقـة العليـا لتصـل إلى الأدنى، وأعطـت حالـة عـدم الثقـة والمصـداقية بـين السـلطة والمـواطن وشـعور كبـير بعـدم جـدوى مواجهـة الفسـاد والفاسـدين ،والقمـع الفكـري وسـيادة اكثـر مـن تغيـير في التجـارب الفكريـة في اطـار ماوصـف بالاشـتراكية الـتي تـأثرت بالتجـارب العربيـة والعالميـة وغيـاب نخبـة فكريـة حقيقيـة في البلاد،مـع نـزوح وهجـرة الكثـير مـن الكفـاءات إلى الـدول الخليجيـة والغربيـة للعمـل والإقامـة هناك،حيـث فقـدت الكفـاءات الـتي تحتاجهـا الادارات وقـوى الانتـاج في الدولـة والمجتمع،وانعكسـت التجربـة الاشـتراكية في ليبيـا مـع الاخطـاء الـتي وقعـت فيهـا علـى الواقـع الاقتصـادي والمسـتوى المعيشـي للفـرد الليـبي والـتي ظلـت عقـدة عنـد مقارنتـه بواقـع دول عربيـة نفطيـة مـن ناحيـة الخـدمات والـوفرة الماليـة ،بحيـث تحولت بمرور الزمن إلى حالة مشاعة بين مختلف فئات المجتمع الليبي.(٢٣)

ثم التجـارب الوحدويـة الـتي فشـلت بـين ليبيـا والـدول العربيـة ،والتحـول إلى التجربـة الأفريقيـة الـتي رأى فيهـا غالبيـة الشـعب الليـبي عمليـة غـير مجديـة وتبـذير لمـوارد الدولـة و كـان الأجـدى أنفاقهـا علـى المحتـاجين والبطالـة وكبـار السـن والمتقاعـدين الـذين شـعروا بغـبن كبـير لـواقعهم المعيشـي الصـعب،وكان مـن اثارهـا هجـرة كبـيرة للنخبـة المثقفـة والكـوادر العلميـة والإداريـة إلى دول المهجر،وظهـور التيـارات الإسـلامية وانتشـارها بـين صـفوف الشـباب وتناغمـا مـع حالـة الصـعود الإسـلامي في تسـعينيات القـرن العشـرين،والتي زج الكثـير مـن هـؤلاء الشـباب في السـجون الليبيـة،والتي قـادت فيمـا بعـد عمليـة التغيـير والمواجهـة المباشـرة للإطاحـة

بالنظـــام عـــام ٢٠١١،والسياســـة الخارجيـــة للنظـــام ومواجهاتـــه وابرزهـــا الحـــرب الطويلـــة مـــع تشـــاد علـــى الحـــدود والمـــوارد والـــتي قتـــل فيهـــا الكثـــير مـــن الطرفين،واســـتنزفت مـــوارد الدولـــة الماليـــة والعســـكرية،ثم الـــدعم لحركـــات في شـــتى دول العـــالم ماليـــا وسياســـيا ،والأزمـــة الـــتي دخلهـــا في حادثـــة لـــوكربي وتأثيراتهـــا السياســـية والماليـــة انعكســـت في الحصـــار والازمـــات الاقتصـــادية والسياســـية الـــتي عاشـــتها الـــبلاد وتـــأثر بهـــا المجتمـــع الليبي،وتبعهـــا اعـــتراف النظـــام بوجـــود بأســـلحة الـــدمار الشـــامل وتســـليمها للغـــرب ممـــا أضـــعفت الموقـــف النظـــام علـــى الصـــعيد الخارجي،وكسر هيبته أمام الشعب .

لابـــد مـــن التوقـــف طـــويلا امـــام اشـــكاليات سياســـية وفكريـــة واجتماعيـــة في بنيـــة المجتمـــع الليـــبي تراكمـــت مـــن الحقبـــة الملكيـــة، ولكنهـــا تعمقـــت وترســـخت في العهـــد الجمـــاهيري حيـــث تقاطعـــت القبيلـــة مـــع الدولـــة في ادوارهـــا ووظائفهـــا وانعكســـت علـــى دور بـــات جليـــا بـــان القبائـــل اســـهمت الى جانـــب الاســـلاميين في عمليـــة قيـــام الثـــورة الـــتي انطلقـــت في ١٧ شـــباط ٢٠١١ مـــن بنغـــازي ثـــاني المـــدن الليبيـــة ثم انتقلـــت بســـرعة الى اجـــدابيا ودرنـــة والبيضـــاء وطـــبرق في منـــاطق شـــرق ليبيا،لتنتقـــل بعدها الى مدن غرب ليبيا تباعا وتصل الى طرابلس وماحولها من مدن .

كانـــت الثـــورة الليبيـــة في مراحلهـــا الاولى بـــدون قيـــادات او احـــزاب او توجهـــات سياســـية وظهـــرت عفويـــة غلـــب عليهـــا الطـــابع الشـــبابي،ثم ظهـــرت بعـــدها قـــوى المعارضـــة السياســـية والاديولوجيـــة في خـــارج الـــبلاد وداخلهـــا لتتـــزعم الثـــورة ضـــد النظـــام والتغيـــير المنشـــود(٧)، وخرجـــت القبيلـــة مـــرة اخـــرى الى الوجـــود لتعـــود وتلعـــب دورهـــا الجـــوهري في ادارة المجتمـــع والـــتحكم في مفاصـــل الدولـــة وخياراتهـــا الـــتي لابـــد ان تراعـــي ولاتغـــض النظـــر عـــن القبيلـــة بعـــدها مكـــون اجتمـــاعي وسياســـي لايمكن تجاوزه(٢٤).

أن المجتمع الليبي اعطى درسا بليغا عندما قرر ترجيح كفة القوى الوطنية والليبرالية في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٢ والتي أوصلت نصف مقاعد (المؤتمر الوطني العام) أي البرلمان الليبي من هذه

القوى،واختارت شخصية رئيس الحكومة الحالية الأقرب إلى توجهاتها.إلا أن ملامح الدولة في ليبيا بعد الثورة مازالت لم تتبلور بشكلها النهائي على الرغم من قيام اول انتخابات برلمانية في البلاد منذ اكثر من أربعة عقود من الزمن والرغبة في السير نحو الديمقراطية والتعددية السياسية والتخلص من تبعات الماضي والانفتاح على الخارج والنهوض بالبلاد بعد سنوات من العزلة.

سادسا:الموقف الفرنسي من الثورة الليبية ومابعدها.

كانت فرنسا في عهد ساركوزي من اكثر الدول الغربية حماسة لتعويض التأخر الذي حصل في مواقفها تجاه الثورتين في تونس ومصر،فحاولت تحقيق نجاحات دبلوماسية في الخارج والحصول على مكاسب في الداخل امام الاحزاب والشعب الفرنسي(٢٥).

ويرى محمود جبريل رئيس الوزراء في (المجلس الانتقالي الوطني الليبي) الأسبق بعد الثورة أن ساركوزي كان يريد بالفعل تعويض خسارة فرنسا في تونس بشكل خاص لأنه واجه انتقادات لتأخر باريس في دعم هذه الثورة وهي تعد تاريخيا منطقة نفوذ فرنسية.(٢٦)وبالفعل فقد استثمر ساركوزي الثورة الليبية في محاولة لتحسين صورته أمام الشعب الفرنسي من خلال إقامة تحالف دولي يعيد لبلاده مجدها ودورها الأوربي والدولي،ومحاولة توظيفها في الانتخابات الرئاسية الفرنسية في عام ٢٠١٢ والإفادة من دعم ليبيا سياسيا واقتصاديا وإصلاح الأخطاء السابقة إزاء التأخر في دعم الثورتين التونسية والمصرية.

وبدأ ساركوزي حملة على نظام القذافي اثناء انعقاد القمة الاوربية في مطلع عام ٢٠١١ بعد الثورة الليبية ووصف الزعيم الليبي بالمحاور غير الشرعي،ودفع الملف الليبي الى مجلس الامن الدولي الذي اصدر القرار رقم ١٩٧٣ بفرض حظر جوي في ليبيا بعد موافقة جامعة الدول العربية،وفرض التحالف الدولي العسكري حظرا قادته ثلاث دول هي الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، وتسليم القيادة العسكرية الى حلف الناتو في ١٧ اذار٢٠١١، وارسلت فرنسا اول دولة طائراتها المقاتلة الى ليبيا مع اخرى امريكية وبريطانية للمشاركة في

العمليـــات العســـكرية ضـــد المواقـــع الحكوميـــة والعســـكرية في مختلـــف المـــدن الليبيـــة وخاصـــة طـــرابلس العاصـــمة وســـرت مســـقط رأس القـــذافي في حـــين أكـــد ســـاركوزي رفضـــه خطـــط التـــدخل العســـكري الـــبري في ليبيـــا وان هدفـــه إســـقاط حكـــم الـــزعيم الليبي فحسب.(٢٧)

ومـــع تفـــاقم الوضـــع العســـكري وعـــدم التوصـــل إلى حســـم المعركـــة بـــدأ العمـــل للحـــل السياســـي في اجتمـــاع مجموعـــة الثمـــاني في ايلـــول٢٠١١ وخصصـــت بـــاريس جلســـة للشـــرق الاوســـط وشمـــال افريقيـــا واجتمـــاع للائـــتلاف الـــدولي في ليبيـــا حيـــث شـــاركت فرنســـا في اجتمـــاع (مجموعـــة اصـــدقاء ليبيا)والاتصـــالات الفرنســـية والاوربيـــة مـــع المعارضـــة والشخصـــيات المقربـــة مـــن القـــذافي مـــن اجـــل التوصـــل الى صـــفقة بشـــان تنحيـــة الـــزعيم الليـــبي عـــن الحكم،والـــتي لم تســـفر عـــن تقـــدم يـــذكر، واســـتمر ســـاركوزي في ســـعيه ولم يتراجـــع عـــن قـــراره بضـــرورة اســـقاط القذافي،وســـعى لتـــوفير الامـــوال اللازمـــة لـــذلك الهـــدف واكـــد دعـــوة بـــلاده للـــدول الغربيـــة لرفـــع قـــرارات تجميـــد الارصـــدة الليبيـــة وتمويـــل نفقـــات المجلـــس الـــوطني الانتقـــالي والـــتي كانـــت باريس اول الدول التي اعترفت به ودعمته. (٢٨)

وبهـــذا فـــان ســـاركوزي التـــزم مـــن البدايـــة موقفـــا متشـــددا ازاء الأزمـــة الليبيـــة ودعوتـــه المبكـــرة لرحيـــل القـــذافي عـــن الحكـــم ورفضـــه لمقترحـــات الاتحـــاد الافريقـــي وعقـــد الهدنـــة الانســـانية والتفـــاوض مـــع النظـــام والتوصـــل الى تســـوية ســـلمية،واكد علـــى ضـــرورة تخلـــي القـــذافي عـــن الســـلطة ثم عـــادت فرنســـا لتشـــير الى امكانيـــة بقـــاء القـــذافي علـــى ان يتنـــازل عـــن ســـلطاته السياســـية والعســـكرية ورغبـــة بـــاريس لايجـــاد مخـــرج للطريـــق المســـدود الـــذي وصـــلت اليـــه الحـــرب في ليبيـــا في ظـــل رفـــض القـــذافي اية فكرة للتنحية او ترك السلطة او مغادرة بلاده(٢٩).

والتساؤل المطروح لماذا الموقف المتشدد لفرنسا إزاء الأزمة الليبية؟

يبـــدو ان ســـاركوزي ســـعى مـــن خـــلال موقفـــه تجـــاه الأزمـــة الليبيـــة إلى الإفـــادة مـــن أصـــوات الشـــعب الفرنســـي في الانتخابـــات الرئاســـية عـــام ٢٠١٢ والاســـتثمار في

المجال النفطي في ليبيا والذي وصل الى حوالي ٦٥ مليار برميل بقيمة تبلغ٦,٥ تريليون دولار والسيطرة على الامدادات النفطية والاستثمارات واعادة الاعمار في ليبيا لصالح الشركات الفرنسية.وتنافست باريس مع لندن على السوق الليبية في تقاسم النفوذ في افريقيا ومحاولة التسويق امام الشعب الليبي بان باريس دافعت عن الليبيين اما بطش القذافي وماكنته الامنية والعسكرية عند اندلاع الثورة في البلاد،ودعوة فرنسا لعقد مؤتمر دولي حول ليبيا للدفاع بالحقيقة عن المصالح الفرنسية ومحاولة الحصول على مشاريع اعادة الاعمار والاستثمارات وماتحققه من فائدة للاقتصاد الفرنسي،وقيادة فرنسا لعمليات حلف الناتو وان تؤدي باريس دور تحالف محوري مع ليبيا الدولة الغنية بالنفط. في الوقت الذي تخشى منه الولايات المتحدة في منطقة شمال افريقيا التي تعدها من المناطق ذات النفوذ بالنسبة لها،واعتراض المانيا على اي دور لفرنسا في اقامة ماسعى له ساركوزي وهو (الاتحاد من اجل المتوسط) وموقفها بالأساس ضد القرار الاممي الذي صدر بحق الازمة الليبية(٣٠).

وقد استمر ساركوزي في دعم المجلس الوطني الانتقالي واستقبل في ٢٠ نيسان٢٠١١ في قصر الاليزيه رئيس المجلس مصطفى عبدالجليل ووعد بتلبية المطالب التي طرحها عليه الاخير ومنها تكثيف الضربات الجوية الفرنسية على المواقع العسكرية والأمنية لنظام القذافي،وتوفير المساعدات الإنسانية لمدينة مصراته لاسيما التي كانت تعاني من عمليات عسكرية وحصار من كتائب القذافي انذاك،وقال ساركوزي مخاطبا عبدالجليل"سوف نساعدكم" في ذلك،وزدادت بالفعل الطلعات الجوية الفرنسية وارسل ضباط اتصال الى بنغازي وارسلت باريس اول سفير لها الى بنغازي وعبر عبدالجليل عن شكره لفرنسا لماوصفه "موقفها الشجاع" في دعم الثورة الليبية، ووعد بان يكون لفرنسا دور كبير في ليبيا بالمستقبل وتعهد بإقامة دولة ديمقراطية ومحاربة الإرهاب والهجرة غير الشرعية(٣١).

ويظهـــر جليـــا أن فرنســـا ترغـــب في الـــدخول في منافســـة الـــدول الكـــبرى في افريقيـــا وتـــرى ان ليبيـــا هـــي البوابـــة للنفـــوذ السياســـي والاقتصـــادي لهـــا في شمـــال افريقيـــا وهـــي الدولـــة الاغـــنى في المنطقـــة ولهـــا مقوماتهـــا المســـتقبلية الإســـتراتيجية والاقتصـــادية والعسكرية.

ومـــع اســـتمرار التعـــاون بـــين فرنســـا وليبيا،اكـــد رئـــيس الـــوزراء المنتخـــب عـــام ٢٠١٢ علـــي زيـــدان ان علاقـــات بـــلاده ســـتحظى باهتمـــام خـــاص مـــع فرنســـا مـــن لـــدن الحكومـــة الجديـــدة بعـــد ان عقـــد محادثـــات مـــع وزيـــر الخارجيـــة الفرنســـي لـــوران فـــابيوس في زيـــارة صـــداقة وعمـــل اشـــار اليهـــا الاخـــير بـــ"العلاقات الخاصـــة".(٣٠)وتناولـــت العلاقـــات جوانـــب تطـــوير الامـــن والعـــدل والاقتصـــاد والتـــدريب والهجـــرة غـــير الشـــرعية وقضـــايا اقليميـــة ودوليـــة حيـــث اكـــد الجانـــب الليـــبي ان العلاقـــات الفرنســـية–الليبيـــة تشـــهد نقلـــة نوعيـــة علـــى اســـس جديـــدة واحـــترام متبـــادل ومصـــالح مشـــتركة واهتمـــام فرنســـي خـــاص بليبيـــا ومســـتقبلها.وقدمت بـــاريس مســـاعدات خاصـــة للتـــدريب والـــدفاع الداخليـــة ومراقبـــة الحـــدود وتهريـــب الاسلحة والمخدرات ايضا(٣٣).

ومن جهة أخرى أكد الرئيس الفرنسي الجديد فرانسوا هولاند مؤخرا في تعليق له على السياسة الخارجية لبلاده استعداده التام لدعم بناء ليبيا لتكون"دولة ديمقراطية"(٣٤).

ويبـــدو ان العامـــل الخـــارجي كـــان لـــه دور مـــؤثر في ســـقوط النظـــام الليـــبي واســـتمر بعـــد ذلـــك مـــؤثرا في المشـــهد السياســـي بفعـــل التطلـــع للمصـــالح النفطيـــة واعـــادة اعمـــار ليبيـــا ومواجهـــة مشـــكلة الهجـــرة غـــير الشـــرعية والمصـــالح الاقتصـــادية في الســـاحل والصـــحراء وكلهـــا مكاســـب ومهـــام تســـعى اليهـــا الـــدول الغربيـــة وفي مقدمتها فرنسا(٣٥).

ان الفـــراغ السياســـي والدســـتوري الـــذي شـــهدته ليبيـــا طـــوال أربعـــة عقـــود في عهـــد النظـــام الســـابق تلقـــي بظلالهـــا علـــى المشـــهد السياســـي في ليبيـــا مابعـــد الثـــورة وحالـــة عـــدم الاســـتقرار السياســـي والاقتصـــادي الـــتي تـــنعكس علـــى العلاقـــات الخارجيـــة

لليبيا والدفع بالتجربة الجديدة إلى خطوات متفائلة دون تعثر ومنها بطبيعة الحال مع فرنسا.(٣٦)

ومن الناحية الاقتصادية،يتوقع الخبراء ان الاستكشافات النفطية في ليبيا لها مستقبل زاهر ومهم مما يفتح المجال الى ان يكون لها مستقبل نفطي عالمي،فضلا عن تضاعف انتاج الغاز الطبيعي فيها مع ازدياد الاستكشافات حيث تعد ليبيا بوصف غربي "بحيرة نفطية وغازية"مع الموقع الجيوستراتيجي لها وقلة سكانها مما يشجع فرنسا والدول الغربية للتطلع للتعاون مع طرابلس في كافة المجالات (٣٧).

واكدت الحكومة الفرنسية بانها ايضا مستعدة لبدء الافراج عن مليار دولار من الاموال المجمدة لصالح صندوق الثروة السيادية في ليبيا مع سعيها للحصول على استثمارت من الحكومة الجديدة في طرابلس وصرح رولان فابيوس في زيارة له الى ليبيا في تشرين الثاني ٢٠١٢ بان فرنسا ملتزمة بذلك الإفراج عن الاموال التي تقدم الى(هيئة الاستثمار الليبية)وتقدر ب(١,٨٦٥دولار)،واشار وزير الصناعة الفرنسي ارنو مونتبورج دعم بلاده لخطط اعادة اعمار ليبيا والاهتمام بصندوق الثروة السيادية الذي يعنى بالاموال الليبية العائدة للنظام السابق المجمدة في الخارج(٣٨).

وفي ذات التوجه،افتتحت في السادس من كانون الاول٢٠١٢(ندوة ملتقى رجال اعمال فرنسا وليبيا)وضمت شركات ورجال اعمال من فرنسا وليبيا وعقدت في العاصمة طرابلس،حيث اكدت على بدء مرحلة جديدة في العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية بين الطرفين،واهمية الشراكة في التنمية المستدامة لدعم ماوصفت بانها صديقة ليبيا وهي فرنسا ليكون لها دور في اعمار ليبيا بعد الحرب والدمار،ولاسيما الاتفاق على العمل في مصراته وبنغازي لتسهيل عمل الشركات الفرنسية،وفتح الاسواق الليبية امامها ومساهمة

القطاع الخاص والشركات الفرنسية في الامن والطاقة والاتصالات والبناء وصناعة الطائرات والصناعات الغذائية والشركات الطبية وغيرها.(٣٩)

ولذلك فان فرنسا ترى في ليبيا مابعد الثورة وقيام النظام الجديد بأنها بلد مهم ترنو له باريس في الاعمار والاستثمار والتنقيب عن النفط والغاز والشركات الفرنسية والتعاون العلمي والثقافي والانفتاح على السوق الليبية التجارية ومتابعة ماسعى اليه ساركوزي في ولايته بالحماسة نفسها، وهو ما أكده الرئيس هولاند في ان تكون لفرنسا مكانة في مستقبل ليبيا كدولة ديمقراطية،وفي محور الاهتمام الفرنسي في مناطق نفوذها التقليدية في شمال افريقيا .

الخاتمة.

تشهد العلاقات الفرنسية-الليبية عهدا جديدا بعد عقود طويلة من الصراع والعداء والتطبيع لتتحول الى تحالف جديد والذي كرسه ساركوزي بعد قيام الثورة في ١٧ شباط٢٠١٢ ثم سار عليها من بعده الرئيس هولاند في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية تتطلع من خلالها ليبيا الى مكافاة فرنسا على دعمها الكبير في الحملة السياسية والعسكرية التي قادتها باريس للإطاحة بالقذافي ودعم الثورة بكافة السبل والإمكانات أوربيا وامميا.،ثم الحاجة للخبرات الفرنسية لإعادة أعمار ليبيا وأهمية الشركات والصناعات الفرنسية للسوق الليبية .

اما فرنسا فانها تنظر الى الازمة المالية العالمية وتاثيراتها التي ضربت اوربا من اليونان الى فرنسا بحاجة ماسة الى اعادة مواطيء القدم لها في مناطق نفوذها في شمال افريقيا في مقدمتها ليبيا الغنية بالثروات النفطية والغازية والتي بحاجة إلى اعادة الاعمار بعد ماتركته الحرب الغربية على الاراضي الليبية،ثم ان باريس تنظر باهتمام كبير الى الموقع الجيوستراتيجي لليبيا كبوابة للقارة الافريقية شمالا والمطلة على البحر المتوسط عبر ساحلها الشمالي الطويل،وخيراته الطبيعية المتعددة بأنها تشكل لها فرصة مؤاتية لقطف ثمار موقفها الداعم للثورة

الليبيـــة وتحقيـــق مكاســـب سياســـية واقتصـــادية وعســـكرية في هـــذه المنطقـــة الحيويـــة مـــن الشـــرق وهـــذا يعيـــد ترتيـــب الترتيبـــات الامنيـــة والعســـكرية في المنطقـــة،ومناطق النفـــوذ السياســـية في عـــالم الجنـــوب تحكـــم مـــن خلالهـــا فرنســـا مكانتهـــا في شمـــال افريقيا، وتنافس الولايات المتحدة التي تكرس تواجدها هناك.

وربمـــا تعتقـــد فرنســـا منـــذ ســـاركوزي بـــان ليبيـــا قـــد تكـــون الدولـــة الـــتي تعوضـــها خســـائرها الاقتصـــادية والماليـــة،وان العقـــود والاتفاقيـــات الـــتي ابرمتهـــا مـــع النظـــام الســـابق وبلغـــت ١٠ مليـــار دولار ممكـــن ان تعوضـــها وتزيـــد عليهـــا مـــع النظـــام الجديـــد للمضـــي في اعـــادة اصـــلاح الاقتصـــاد الفرنســـي والنهـــوض بـــه مـــن خـــلال فـــتح الشـــركات والاســـتثمارات ورجـــال الاعمـــال والمشـــاريع في ليبيـــا الخارجـــة مـــن فترة طويلة من الركود الاقتصادي والازمات الخارجية وتدمير في البنى التحتية.

وهـــذه المعادلـــة بـــين فرنســـا وليبيـــا تحكـــم العلاقـــة الجديـــدة بينهمـــا مابعـــد ٢٠١١ الـــتي يمكـــن ان توصـــف بانهـــا (تحـــالف جديـــد)) لكـــل منهمـــا اهدافـــه وخياراتـــه الـــتي يسعى اليها في المستقبل .

الهوامش

(١) مركز الدراسات الدولية–جامعة بغداد.

(١)انظر موقع الموسوعة الالكتروني:www.wikimedia.com

(٢)**Ronald Bruce St John,Libya,Continuity and Chang,(, London and New York: routledgeTaylor &France Grope), ,2011,p.83.**

(3)انظر:المرجع السابق،www.wikimedia.com

؛فاضل بيات،الدولة العثمانية في المجال العربي،دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني –أواسط

القرن التاسع عشر،ط١،(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٧)،ص ص ٥٥٦–٥٥٨.

(٤)**Johan Wright History of Libya,(London: hurt company),2010,pp.7–45**

وعن المقاومة الليبية راجع:انزوسانتا ريلليو وآخرون،عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا،(طرابلس:منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية،سلسلة الدراسات المترجمة،(٧))،٢٠٠٥.

(٥)علـــي عبـــد اللطيـــف أحميدة،الأصـــوات المهمشـــة الخضـــوع والعصـــيان فـــي ليبيـــا أثنـــاء الاســـتعمار وبعـــده، ترجمـــة عمـــر أبـــو القاســـم الككلـــي، ط١، (بيـــروت: مركـــز دراســـات الوحـــدة العربيـــة،٢٠٠٩)، ص ص ٤٦–٦٤.

(٦)انظر الدراسات الليبية المهمة:
علـــي عبـــد اللطيـــف أحميـــدة،المجتمع والدولـــة والاســـتعمار فـــي ليبيـــا فـــي الأصـــول الاجتماعيـــة والاقتصـــادية والثقافيـــــة لحركـــــات وسياســـــات التواطـــــوء ومقاومـــــة الاســـــتعمار ١٨٣٠-١٩٣٢،سلســـــلة أطروحـــــات الـــــدكتوراه(٢٦)،(بيروت:مركـــــز دراســـــات الوحـــــدة العربيـــــة،١٩٩٥)؛مصـــــطفى عمـــــر التير،التنميـــــة والتحـــــديث،نتائج دراســـــة ميدانيـــــة فـــــي المجتمـــــع الليبي،(بيروت:معهـــــد الإنمـــــاء العربـــــي،١٩٨٠)؛محمـــــد زاهـــي المغيربي،المجتمـــع المـــدني والتحـــول الـــديمقراطي فـــي ليبيا،تقـــديم ســـعد الـــدين إبراهيم،(القـــاهرة:مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية،١٩٩٥).
(٧)باسكال بونيفاس،"السياسة الفرنسية في الخليج:الفرص والتحديات والانعكاسات"،في:المصالح الدولية في منطقة الخليج،ط١،(ابوظبي:مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية،٢٠٠٦)،،ص٥٦؛ للمزيد من التفاصيل عن الوجود الفرنسي في الخليج العربي راجع: عبد الأمير محمد أمين،التنافس في الخليج العربي في القرن الثامن عشر،(بغداد:مطبعة اسعد،١٩٦٦)؛صالح محمد العابد،موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي١٧٨٩-١٨١٠،(بغداد:مطبعة العاني،١٩٧٩).
(٨)بوقنطار الحسان،السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٤٧،سلسلة أطروحات الدكتوراه(٩)،ط١،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٨٧)،ص ٤٠.
(٩)أنظر:
Christine Ockrent,"France:Looking for Europe", Carnegie Europe, in:www.carnegieEurope.com
(١٠)**Ibid**.
(١١)عمـــر الشوبكي،"المســـلمون والدولـــة العلمانيـــة فـــي فرنســـا:علمانية متشـــددة ام عـــداء للإســـلام"،مجلة السياســـة الدولية،العدد١٥٦،(القاهرة:ابريل/نيسان٢٠٠٤)،ص٦٠.
*(الاتحاد من اجل المتوسط) مقترح فرنسي سعت أليه من اجل أقامة تكتل سياسي واقتصادي في حوض البحر المتوسط ولكنه لاقى رفضا من الزعيم الليبي القذافي.
(١٢)خالد سعد زغلول،"قراءة في ملف العلاقات الفرنسية-الليبية"،جريدة الأهرام اليومي،٢٠١١/٣/٣١ في الموقع الالكتروني:**www.alahram.com**
؛علي محافظة،فرنسا والوحدة العربية١٩٤٥-٢٠٠٠،مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية٥،ط١،(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٨)،ص٢٧٥.
(١٣)زغلول،المرجع نفسه.
(١٤)**John,op.cit,p.137**.
(١٥)احمد طاهر،"العلاقات الأوربية-الليبية بداية جديدة"،جريدة الأهرام،القاهرة،٢٠١٢/١٢/٨.
(١٦)**John,op.cit,p.138**.
(١٧)طاهر،المرجع السابق.
(١٨)طاهر،المرجع نفسه.

(١٩) بيتر جي كاترنشتاين، الحضارات في السياسة العالمية،ترجمة فاضل جكتر، سلسلة عالم المعرفة العدد (٣٨٥)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، شباط٢٠١٢)، ص ص ١٣١-١٣٢.

(٢٠) المرجع نفسه،ص١٣٢.

(٢١)**Wright,op.cit,p.135.**

(٢٢)زغلول،المرجع السابق؛طاهر،المرجع السابق.

(٢٣)انظر:

Ivo H. Dalder and James G Stavridis,"Natops Victory in Libya, the Right Way to Run an Intervention,"forighn affairs, vol.32.no.2,(march-April, 2012),pp.2-7.

(٢٤)انظر:الحلقة النقاشية "ليبيا وآفاق التحول الديمقراطي"،مجلة المستقبل العربي ،السنة٣٤،العدد٣٩٥،(بيروت:كانون الثاني٢٠١٢)،ص ص ٧٨-٩٠.

(٢٥)محمد سيد احمد فال،"الثورة الليبية قراءة في آليات إسقاط نظام الحكم الفردي"،في:التقرير الاستراتيجي،الأمة واقع الإصلاح ومالأت التغيير،الإصدار التاسع،(الرياض:مجلة البيان،،٢٠١٢)،ص١٨٤.

أدت الأزمة المالية العالمية إلى تدهور مالي واقتصادي في الولايات المتحدة ودول أوربية منها فرنسا وانعكست على منظومة المال والاستهلاك والأسواق العالمية والعقارات وانهيار الاقتصاديات وضرورة البحث عن آليات للنهوض من الأزمة بالاقتراض أو الاستدانة أو الانتعاش بالاستثمارات والحصول على النقد وغيره.

انظر:زياد حافظ،الأزمة المالية العالمية،شؤون اقتصادية،(٨)،ط١(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠١٢)ص٧.

(٢٦)راجع مداخلة جبريل في:"ليبيا إلى أين؟"،الحلقة النقاشية،مجلة المستقبل العربي،السنة٣٥،العدد٣٩٩،(بيروت:مايو/ايار٢٠١٢)،ص١١٤.

شهدت ليبيا بعد الثورة إجراء أول انتخابات،وأفرزت تلك الانتخابات واقعا سياسيا وايدولوجيا مغايرا للدول التي شهدت الربيع العربي ،فقد أعطى الشعب الليبي أصواته إلى جانب (ائتلاف القوى الوطنية) الليبرالي الاتجاه وخاصة في اكبر مدينتين في ليبيا هما العاصمة طرابلس وبنغازي وضم الائتلاف أربعين حزبا وترأسه الدكتور محمود جبريل أمين(وزير) التخطيط في عهد القذافي الذي أصبح رئيس وزراء بعد الثورة وحصل ائتلافه على٣٩ مقعدا من أصل٨٠ مقعدا للأحزاب والكتل السياسية.في حين حصلت جماعة الأخوان المسلمين الممثلة في (حزب العدالة والبناء الإسلامي) على ١٧ مقعدا.

أنظر:جريدة الشرق الأوسط،لندن،ع١٩،١١٩٢١/٧/٢٠١٢.

(٢٧)احمد يوسف احمد وآخرون،حال الأمة العربية٢٠١١-٢٠١٢ معضلات التغيير وآفاقه،ط١،(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠١٢)،ص٤٨.

(٢٨)المرجع نفسه،ص ص٤٧-٤٨.

(٢٩)جريدة الشرق الأوسط ،لندن،ع٢٧،١١٩٢٩/٧م٢٠١٢.

(٣٠)جريدة المشرق،بغداد،ع٢١٨٧،٢٧،٢١٨٧/٩/٢٠١١.

(٣١)جريدة الشرق الأوسط،لندن،ع٢١،١١٨٣٢/٤/٢٠١١.

(٣٢)موقع المنارة الالكتروني،www.manara.ma12l12L2012

(٣٣)جريدة الوطن الليبية،طرابلس،٨/١٢/٢٠١٢.

(٣٤) انظر:الموقع الالكتروني،www.press solidarity.com14-12-2012

(٣٥)خالـــد حنفي،"الجـــوار القلـــق تـــأثيرات الثـــورة الليبيـــة فـــي علاقـــات ليبيـــا الإقليمية"،مجلـــة السياســـة الدولية، ع١٨٨،(القاهرة:نيسان٢٠١٢)،ص١١٨.

(٣٦)انظر التفاصيل:

زايـــد عبيـــد الله مصباح،"إشـــكاليات بنـــاء الدولـــة الديمقراطيـــة فـــي ليبيـــا:القيم واتخـــاذ القرار"،مجلـــة المســـتقبل العربي،السنة٣٥،ع٤٠٣،(بيروت:ايلول٢٠١٢).

(٣٧)**Wright,op.cit,pp.228-229.**

(٣٨)جريدة العرب، الدولية،لندن،١٣/١١/٢٠١٢.

(٣٩)جريدة الوطن،طرابلس،٦/١٢/٢٠١٢.

French- Libyan relations: historical background and future vision

Assistant Professor:
DR. Mufeed al-Zaidy

Abstract

The Relations between France and Libya are distinguished to be unstable and witnessed many crisis reached to the military confrontations and War in Chad in the eighties of the last century. But after 2003 the relations started to improve between the two states especially after the improvement of Libya's relations with the western countries generally.

This research deals with the nature of the relations after the outbreak of Libyans Revolution in 17 February 2011 when France gone aggressive toward Mua'amar al-Qadhafi regime to the extent that France participated in the military intervention with NATO to end the regime, and beginning the new phase of relations between France and Libya based on alliance and cooperation in the Future.